

فتح القدير

قوله : 8 - { والوزن يومئذ الحق } الوزن مبتدأ وخبره الحق : أي الوزن في هذا اليوم العدل الذي لا جور فيه أو الخبر يومئذ والحق وصف للمبتدأ أي الوزن العدل كائن في هذا اليوم وقيل : إن الحق خبر مبتدأ محذوف .

واختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن الكائن في هذا اليوم فقيل : المراد به وزن صائف أعمال العباد بالميزان وزناً حقيقياً وهذا هو الصحيح وهو الذي قام عليه الأدلة وقيل : توزن نفس الأعمال وإن كانت أعراضها فإنما يقلبها يوم القيمة أجساماً كما جاء في الخبر الصحيح : [إن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيمة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف] وكذلك ثبت في الصحيح أنه يأتي القرآن في صورة شاب شاحب اللون ونحو ذلك وقيل : الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق وقيل : الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء وذكرهما من باب ضرب المثل كما تقول هذا الكلام في وزن هذا قال الزجاج : هذا سائغ من جهة اللسان والأولى أن نتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان قال القشيري : وقد أحسن الزجاج فيما قال إذ لو حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأحساد والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة ثم قال : وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الطواهر من غير تأويل وإذا أجمعوا على منع التأويل وجوب الأخذ بالظاهر صارت هذه الطواهر نصوصاً انتهى والحق هو القول الأول وأما المستبعدون لحمل هذه الطواهر على حقائقها فما يأتيون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه بل غاية ما تشبيثوا به مجرد الاستبعادات العقلية وليس في ذلك حجة على أحد فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتبعين وتابعهم حتى جاءت البدع كاللليل المظلم وقال : كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم ولি�تهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاً عليها ويتحدد قبولهم لها بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه هو أو من هو تابع له فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبيهم يعرف هذا كل منصف ومن أنكره فليصف فهمه وعقله عن شوابئ التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفه المصبح لعينيه .

وقد ورد ذكر الوزن والموازين في مواضع من القرآن كقوله : { ونضع الموزين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً } و قوله : { فإذا نفح في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون } و قوله : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون } و قوله : { إنما لا يظلم مثقال ذرة } و قوله

: { فأما من ثقلت موازيته * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازيته * فأمه هاوية } والفاء في { فمن ثقلت موازيته } للتفصيل والموازين : جمع ميزان وأصله موزان قلب الواء ياء لكسر ما قبلها وثقل الموازين هذا يكون بثقل ما وضع فيها من صائف الأعمال وقيل : إن الموازين جمع موزون : أي فمن رجحت أعماله الموزونة والأول أولى وظاهر جمع الموازين المضافة إلى العامل أن لكل واحد من العاملين موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله وقيل : هو ميزان واحد عبر عنه بلفظ الجمع كما يقال : خرج فلان إلى مكة على البغال والإشارة بقوله : { فأولئك } إلى من والجمع باعتبار معناه كما رجع إليه ضمير { موازيته } باعتبار لفظه وهو مبتدأ خبره { هم المفلحون }